

اليهودية

يرجع أصل اليهود الى الجنس السامي نشأوا بكلمة في الصحراء فكانوا يعيشون عيشة البدو، يكونون قبائل يتزعمها أكبرهم سنا وارجحهم عقلا ، ويبتدى تاريخ اليهود كما يقول علماء التوراة منذ ولادة ابراهيم « ٢٠٠٠ ق.م » وكانت مدينة أور مسقط رأسه وهى كائنة بسومر، وهو الاسم الذى كان يطلق على جزء كبير من الاراضى البابلية

رحل ابراهيم متزعا الاسرائيليين الى فلسطين وكان يقطنها حينذاك الكنعانيون ، وهناك اضطر الاسرائيليون الى نبذ العيشة البدوية واحتاجوا الى تغيير نظامهم الاجتماعى الذى نما فى الصحراء حتى يصلح لهم فى بيئتهم الزراعية التجارية الجديدة ، وعلى توالى الزمن امتزجوا بالسكنانيين امتزاجا تاما

فقال اليهود مقيمين بفلسطين حتى قام بعض الآريين من أوربا الوسطى ، وكانوا شديدي البأس يعرفون صناعة الحديد . فافاروا على كريت وغيرها « ١٦٥٧ ق.م » مما أدى الى اضطراب العالم الاسيوى فدفع ذلك بعض شعوبه نحو وادى النيل . وكان أغلب النازحين الى مصر الهكسوس واليهود . هذا وقد دفعت أيضا المجاعات التى كانت تحدث بفلسطين بين حين وآخر الى نزوح كثير من اليهود الى وادى النيل

أقام الاسرائيليون بمصر تحت حماية الهكسوس فاما طرد المصريون الهكسوس من مصر (١٦٢٠ — ١٥٧٣ ق.م) فأس الاسرائيليون كثيراً على يد القراعنة وظلوا يسامون سوء المذاب حتى ظهر موسى فخرجوا برباسته من مصر فى عهد امينوفيس الثانى (١٤٤٧ — ١٤٢٠ ق.م)

وبعد عناء عظيم استقر الاسرائيليون بفلسطين ، وأصبحوا يكونون مملكة قوية (١٠٠٠ ق.م) تحت زعامة شاول وداود وسليمان وبني الاخير المعبد الاسرائيلى العظيم بأورشليم ، ثم ضعف شأنهم فانقسموا قسمين ، مملكة اسرائيل فى الشمال ، ومملكة يهوذا فى الجنوب ، فضعفهم هذا الانقسام ومنذ ذلك الوقت اخذوا يشقون بين مصائب الفتح والأسر تحت غزوات البابليين والفرس وغيرهم حتى هدم هادريان سنة ٧٠ ميلادية أورشليم ومعبيدها . ومنذ ذلك الوقت تفرق الاسرائيليون

وكانت ديانتهم الاصلية خليطا من الوثنية تشمل عدة أشكال من الآلهة وتعتمد كباقي الأديان على عبادة الأسلاف العائلية والعشيرية ، كان بعض الآلهة على شكل حيوانات والبعض يشبه قابلا أو كثيرا الانسان، ولكن الأغلبية كانت تعبد انصافا فى صورة أحجار وأشجار وغرومات خشبية مقدسة

ومعظم هذه الالهة سامية الشكل مألوفة لبنى اسرائيل وجيرانهم واقربائهم، وكانت عبادة الاسرائيليين في اول الامر تشبه عبادة قدماء المصريين والبابليين ، إلا أنها أخذت تتغير شيئا فشيئا فلما طردوا من مصر أدى ذلك الى تفضيل بعض الالهة على البعض الآخر . واختص الاسرائيليون أخيرا ييهوا أحد هذه الالهة واصبح الههم الجنسى

استمد اليهود عقيدتهم من مصر وبابل وظلوا مشتتين فلم يعرفوا الوحدة ، ولذلك استعاضوا عنها بجمع أخبار ملوكهم وانبيائهم وما وعوه من الآداب الدينية المصرية والبابلية ، فكانت هذه كلها مصدراً للتوراة الذى لم يكن له وجود قبل عودة الاسرائيليين من بابل (٥٣٩ ق. م) الى فلسطين وبناء معبدهم من جديد

ولما كان اليهود قبائل رحالة ، كثر انتقالها بين مصر وبابل ، واستمدوا عقيدتهم من هاتين المملكتين ، واضطروا الى ايجاد وسيلة لوحدهم ، فتكونت مع الزمن أديهم الممثل فى التوراة والذي كان طريقا لاتحادهم وسبيلا لوجودهم السياسى ، لذلك كان التوراة هو الذى كون اليهود . لا اليهود هم الذين كونوه

كانت بالتوراة أفكار تختلف عن أفكار المعتقدين به . أفكار ترمى الى القوة والمعونة . كتب على اليهود التعلق بها خلال قرون من الشدة والمجازفة والظلم . ولم يكن لليهود ملك أو معبد فلم تربطهم الاكلمات مدونة

وكان للنقافة المصرية أكبر نصيب فى تشكيل ثقافة العبرانيين الممثلة فى التوراة والتي ابتدأت تتكون منذ ان استقر يوسف بمصر فتزوج بنت بوتوفيرة رئيس كهنة هليوبوليس . ومن المعروف أن الجزء الأوفر من أدبيات المصريين الدينية نشأ فى هذه المدينة فاستطاع اليهود أن يستمدوا كثيرا من تعاليمهم من ديانة قدماء المصريين . فالمجل الذهبى الذى عبده اليهود باعتباره يمثل يهوا كان أصله عجل آبيس الذى كان يعبده المصريون . وفكرة الشيطان « سيت المصرى » هى فكرة مصرية لأن الرب سيت كان عدو الرب « هورسر » والظاهر أن العبرانيين أخذوا اللفظ بتعريف طفيف كما أخذوا المعنى . أما أغلب عقيدة اليهود . فقد استمدوها من عقيدة اخناتون الذى حاصروه . كان اخناتون أول من قال بان اتون هو الخالق والمنظم والحاكم للعالم أجمع للمصر وحدها . ويشبه اتون اله العبرانيين شبها عجيبا . وكثير من عبارات التوراة وجدت فى آثار اخناتون أى صلواته معنى . وحرفا

ويزعم ويحال أن اخناتون هو الذى كتب مزمور ١٠٤ فى التوراة . وهو فى مجمله ينطبق كل الانطباق على الفلسفة الدينية عند هذا الملك . ففى هذا المزمور كما فى رأى اخناتون ان الله محبه

ثم يزعم ويحال أيضا أن هذا الملك حرم صناعة التماثيل والتعبيد لها ويمكن رد كثير من الفكرات التي تضمنها التوراة الى أصولها المصرية القديمة . ولا يقتصر الامر على الفكرة فقط ولكن أسلوب التعبير عنها أيضا مأخوذ من قدماء المصريين . وحديثا اكتشف العلماء أن كتاب أمينيوموب في فلسفة الاخلاق هو الاصل الذي نقل عنه جزء كامل من سفر الامثال . وقد وجدوا أن النقل في بعض الأحوال يسكاد يكون حرفيا . كذلك اكتشف المسيو ليفر سنة ١٩٢٠ م . معبدا للاله توت في منطقة هرموبوليس تحتوى نقوشه الهيروغليفية أمثالا لها شبهه عجيب بأمثال سليمان الحكيم وهي تشبه من جهة أخرى أمثال قاقمنه وفتاح وحتب رآنى

كذلك أثبت اليرت سميت أن قصة الطوفان المذكورة في التوراة لها شبه بما وجد في مقبرة سبتى الاول من نقوش تروي كيف هلك البشر ليعدوا أكسير الحياة للملك حتى يصل الى الخلود . وسبب هلاكهم هي خطاياهم وعصيانهم . اختلطت قصة ذبح البشر مع قصة فيضان النيل . وشبهوا احمرار مياه الفيضان بدماء القتلى . وانتشرت عناصر القصة الى البلاد الاجنبية ودخلها خلط ومزج . فاصبح هلاك البشر سببه فيضان الماء كما أن اثم العصيان الذي اهلك البشر أصبح المبدأ الذي يسميه اللاهوتيون « بالخطيئة الاصلية » وتظهر هذه الفكرة بشكل اخر في سفر التكوين من التوراة

والسفينة المقدسة الجديدة التي ذكرها موسى ليست إلا نموذجاً من السفن المصرية التي نجدها بالمتصورة التي كان يحفظ فيها تماثيل الاله . فالسفن التي استعملها بنو اسرائيل للعبادة في الصحراء هي تلك السفن المقدسة التي كانت تستعمل في النيل عند قدماء المصريين ومن الاشياء التي حرّمها المصريون بدافع الدين . الخنزير فكان في نظرهم نجسا وكان من قوانينهم الا يختلط رعاة الخنازير بالناس أو يتعاملوا معهم . وانتقلت هذه العقيدة الى الاسرائيليين فاعتبروا الخنزير حيوانا نجسا وحرّموا أكل لحمه

كذلك استعمل اليهود التخنيط كما استعمله المصريون وقد ذكر التوراة أن يوسف حنط جثة ابيه يعقوب . وكان المصريون يحتقرون فئة الحنطين فقلدهم اليهود واعتبروا أن من يغسل ميتا يصبح نجسا سبعة أيام لا يصلى فيها

إذا انتقلنا من تعاليم الدين إلى أمكنة العبادة وجدنا أن معابد الاسرائيليين لم تختلف عن معابد المصريين ، فقد قسمت منلها إلى ثلاثة أقسام المذبح والحراب والسكان المقدس وكانت بابل أيضا مصدرا لأكثر القصص الشعبية والروايات الدينية التي كان يتناقلها العبرانيون.

وقد وفق علماء الآثار حديثاً إلى اكتشاف كثير من الآثار التي تثبت الصلة القوية بين الآداب الدينية البابلية والعبرانية ، ومن أهم المكتشفات التي وجدت في بابل قصة الطوفان ، فقد وجدت بمخازنها بين قصص البابليين ، وقد استبدل فيها اسم نوح باسم رجل آخر يدعى «أوت نابشتيم» وكذلك عثر العلماء على آثار صريحة فيها إشارات إلى حكاية آدم وحواء ، ومما استنتجوه أيضاً أن البابليين كانوا يؤمنون بوجود الأرواح والملائكة والكروبيم والسرافيم وغير ذلك مما هو مثبت في الديانة العبرانية

كان استقرار اليهود بفلسطين في أول الأمر محفوظاً بالاخطار فلم تنقطع الحروب بينهم وبين الفلسطينيين والسكنعانيين، حتى كونوا لهم من فتوحاتهم دولة مستقلة حكمها قضاتهم ثم نصبوا عليهم أول ملوكهم شاول ثم خلفه داود وسليمان ، ثم توالى عدد من الملوك على إسرائيل أسهبت التوراة في وصف حكمهم وحروبهم ولكن قدر لبني إسرائيل ألا يعيشوا في سلام فأنقضت عليهم مملكة بابل مرات أهمها عام ٥٧٦ ق . م ثم حينما غزاهم نبوخذ نصر وحاصر أورشليم وخرّب هيكل سليمان ساق جموع اليهود أسرى إلى بلاده ولكن حدث في سنة ٥٣٨ ق . م أن غزا قورش ملك الفرس مملكة بابل واستولى عليها وسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم

وفي عام ٣٣٢ ق . م استولى الاسكندر المقدوني على فلسطين وضمها إلى إمبراطوريته الواسعة . وفي سنة ١٣٨ ق . م داهم فلسطين ملك سوريا أنطيوخوس نجرب أورشليم وأهان اليهود في هيكلهم فتاروا وتمكنوا بعد أربع سنين من هزيمة الجيش السوري ولكن أحد ملوك سوريا عاد اليهم سنة ١٣٥ ق . م واستولى على أورشليم ثانية ثم جاءت فترة استقلال فيها اليهود في حكم الأمراء المسكابين ورؤساء الكهنة ولكنهم لم يلبثوا أن حارب بعضهم بعضاً فداهمهم الرومان في حكم بومباي عام ٦٣ ق . م وخرّبوا بلادهم وقتلوا منهم بضعة آلاف وجعلوا فلسطين مستعمرة رومانية

ومر بهم يوليوس قيصر في طريقه إلى مصر فنصب عليهم غنيسار والياً على اليهودية وابنه هيرودس والياً على أورشليم فثار اليهود وقتلوا الأول ولكن سرعان ما أخذ الرومان ثورتهم ونصبوا هيرودس ملكاً على اليهودية وذلك عام ٣٧ ق . م وفي حكم هيرودس تمتعت فلسطين قليلاً بالهدوء فأخذ يحدد هيكل سليمان وشيد الملاهي والقصور والأبراج حتى لقب بهيرودس العظيم، وفي السنة الثالثة والثلاثين من ملكه ولد السيد المسيح في بيت لحم

ولما مات هيرودس خلفه ابنه أرخيلاوس ولكن الرومان خلعه ونصبوا مكانه بيلاطس البنطي حاكماً على اليهود

بقي بنو اسرائيل في أثناء حكم الرومان متذمرين من الاستعمار طالمين بالاستقلال إلى أن ثاروا فأرسل اليهم نيرون قائده فسياسيان خاضعهم . ولكن موت نيرون اضطره إلى العودة إلى روما ليرتقى العرش ثم أرسل اليهم ابنه تيتوس خاضع أورشليم حتى حلت بهم مجاعة رهيبة ثم دخلها الرومان سنة ٧٠ قأمعنوا فيها قتلا وتدميرا ثم أشعلوا فيها النار حتى خربت وتشتقت اليهود في أنحاء الأرض

ظلت فلسطين مستعمرة رومانية سبعة قرون رأى فيها بنو اسرائيل من الولايات والذل ألوانا ، إلى أن تشتت شملهم . وفي حكم هادريان شيدت أورشليم من جديد كمدينة مسيحية وهاجر اليها جموع المسيحيين

والواقع أن الوجود الحقيقي للمدينة اليهودية ابتداء بعد النفي البابلي « ٤٤٤ ق ، م » وزاده قوة بالنفي الروماني في خلال القرون الاولى من المسيحية

ذهبت قومية اليهود المسكانية (Territorial nationality) حوالى سنة ١٣٥ ميلادية عندما فشلت ثورتهم ضد الرومان فأعمال هوريان منجّله في يهود أورشليم . وقامت عند ذلك على أثر خراب أورشليم مدينة جديدة هي Aelia Capitolina ولكن هذا الاسم لا يعرفه إلا الأرخولوجيون

أنكر أمبراطرة الرومان على اليهود الحق في دخول أورشليم ، فأكل بذلك هوريان عمل تيتس وطردت اليهودية من موطنها . ومنذ ذلك الوقت أسدل الستار على وطن الاسرائيليين ولم تقيم لهم بعدها قائمة . فأصبحت اليهودية دين جماعة لا دين دولة فكون اليهود لأول مرة ككنيسة لا مكان لها

ولما صارت المسيحية ديانة الدولة الرومانية الرسمية في حكم الامبراطور قسطنطين ، سنة ٣٣٠ بدأوا يشيدون الكنائس ولكن لم يلبث أن جاء الامبراطور يوليان وكان يكره المسيحيين فسمح لليهود بالعودة الى بلادهم وبناء هيكلهم فعاد بعضهم ولم يتمموا الهيكل

وفي عام ٤١٦ غزا الفرس أورشليم وخرّبوا الكنائس ونهبوا تعائسها وذبحوا عشرات الألوف من النصارى فعاد الرومان في عام ٦٢٨ هـ . موا الفرس وأسروا ملكهم

وفي سنة ٦٣٦ زحف العرب على فلسطين ، وهزموا الروم في موقعة أجنادين ، وحاصروا ورشليم أربعة شهور . ثم حضر عمر بن الخطاب فتسلم المدينة وشيد مسجده